سلسلة نُبَذ (٣)

سير قديسين

دروس من سيرة
القوي
الأنبا موسى الأسود

بقلم
البابا شنوده الثالث

الطبعة الثانية مارس ٢٠٢٠

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٨

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

قداسة البابا شنوده الثالث في سطور

١- وُلِدَ في ٣ أغسطس ١٩٢٣م، باسم نظير جيد روفائيل. في قرية سَلاَّم بأسيوط.

٢- حصل على ليسانس الآداب – قسم التاريخ – من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا).

٣- التحق بالقوات المسلحة – مدرسة المشاة – وكان أول الخريجين من الضباط الاحتياط سنة ١٩٤٧م.

٤- تخرج من الكلية الإكليريكية "القسم المسائي" سنة ١٩٤٩م، وكان الأول على الخريجين – فعُيِّنِ مُدرّسًا فيها.

٥- عمِلَ مُدَرِسًا للغة الإنجليزية والعربية، في إحدى المدارس الأجنبية.

٦- أتقَنَ الشعر منذ ١٩٣٩م، وكتب كثيرًا من القصائد الشعرية.

٧- في سنة ١٩٤٩م: تَكَرَّسَ للخدمة في الكلية الإكليريكية وبيت مدارس الأحد في روض الفرج بشبرا، وتولى رئاسة تحرير مجلة مدارس الأحد.

٨- صار راهبًا في دير العذراء الشهير بالسريان في ١٨ يوليو ١٩٥٤م.

٩- تمت سيامته بيد البابا كيرلس السادس، أول أسقف للتعليم والكلية الإكليريكية والمعاهد الدينية، باسم الأنبا شنوده في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢م.

١٠- بدأ الاجتماعات الروحية التعليمية منذ سنة ١٩٦٢م، واستمر فيها حتى نياحته سنة ٢٠١٢م.

١١- أصـــدر مجلة الكرازة في يناير ١٩٦٥م، واســـتمر في تحريرها حتى نياحته سـنة ٢٠١٢م (واسـتمرّ قداسـة البابا المُعَظَّمْ تواضـروس الثاني في إصدارها).
١٢- اختارته السـماء بالقرعة الهيكلية وتمَّ تجليسـه البابا الـــــ١١٧ للكنيسة القبطية الأرثوذكسية يوم ١٤ نوفمبر ١٩٧١م.
١٣- نَمَتْ الكنيسة القبطية في عهده، داخل مصر وخارجها؛ في كل قارات العالم: إفريقيا وآسـيا وأوروبا وأسـتراليا والأمريكتين: الشـمالية والجنوبية.
١٤- حصـل على تسـع شـهادات دكتوراه فخرية من كبرى جامعات أمريكا وأوروبا.
١٥- امتدت الكلية الإكليريكية في عهده، وأصـــبح لها ١٦ فرعًا في مصر وخارجها.
١٦- كتب أكثر من ١٥٠ كتابًا في كثير من المجالات الكتابية والروحية، واللاهوتية والعقائدية وفي الخدمة والرعاية والتربية.
١٧- قامَ بسيامة بطريركين لكنيسة إريتريا و٥ مطارنة و١١٢ أسقفًا وأكثر من ٢٠٠٠ كاهن و١٠٠٠ راهب.
١٨- قامَ برحلات رعوية ورسمية لكثير من بلدان العالم، وصلت إلى أكثر من ٨٠ رحلة.
١٩- رقد في الرب في ١٧ مارس سـنة ٢٠١٢م ، نيحَ الله نفسـه في فردوس النعيم، ونَفَعْنا بصلواته.

القديس موسى الأسود[1]

نحتفل يوم ٢٤ بؤونة بعيد القديس العظيم الأنبا موسى وبخاصة في دير البراموس العامر، وفي الكنائس التي تحمل اسمه: مثل دير القديسين الأنبا أنطونيوس والأنبا موسى في السودان، وكذلك يحتفلون به في دير الأنبا أنطونيوس بكاليفورنيا بأمريكا. وتوجد كنيسة أيضًا باسمه في شرقي كندا. وهكذا وصلت شهرته إلى بلاد كثيرة خارج مصر.

والقديس الأنبا موسى الأسود يمكن أن نسميه "قديس التوبة" ويتشفع به جميع التائبين.

وذلك باعتبار أنه كان – قبل توبته – إنسانًا خاطئًا، بل كان قاطع طريق وقاتلًا وسيئ الخُلق جدًا، بل كان أيضًا لا يعرف الله، أي كان غير مؤمن.

وعندما ذهب إلى الدير (دير البراموس حاليًا) ارتعب من شكله كثير من الرهبان لما رأوه. ولكن القديس الأنبا إيسيذورس أخذه إليه. ولما سأل عن حالته عرف أنه غير مؤمن، وأنه طبعًا لم

---

[1] مقال "القديس موسى الأسود التائب الراهب الشهيد"، لقداسة البابا شنوده الثالث نُشر في مجلة الكرازة ٩ يوليو ١٩٩٩م

يتعمد. فأرشـــده إلى الإيمان، ثم عمده، وبعد حين رهبنه، ومن ذلك الوقت بدأ حياته في التوبة وفي الحياة الرهبانية.

مشاهير السود

وحياة القديس موســـى الأســـود تعطينا فكرة عن أن الله هو إله السود كما أنه إله البيض.

وفي الكتـاب المقـدس – كمـا في التـاريخ – أمثلـة عن بعض مشاهير السود، الذين منهم "المرأة الكوشية" التي تزوجها موسى النبي (عد ١٢: ١). ولما احتج على ذلك شـقيقاه هارون ومريم، ظهر الرب ووبخهما حتى أنه ضـرب مريم بالبرص فبقيت خارج المحلة ســبعة أيام (عد ١٢: ١٤). وفي نفس الوقت دافع الرب عن موسى ورفع شأنه أمام أخويه.

ومن مشـاهير السـود أيضًـا ملكة سـبأ التي زارت سـليمان الملك (١مـل ١٠). ويقول أخوتنـا الأثيوبيون – في تقـاليـدهم – أن سـليمان تزوج ملكة سـبأ، وأنجب منها **منيليك**؛ الذي صـار جد لأسرة الإمبراطور هيلاسـلاسـي الذي كانوا يلقبونه "الأسد الخارج من سبط يهوذا" أي من نسل سليمان.

ومن مشـاهير السـود أيضًـا عذراء النشـيد التي ترمز إلى كنيسـة الأمم، والتي قالت: "أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم" (نش ١:

٥). ومن مشاهير السود أيضًا القديس موسى الأسود الذي نحن بصدد سيرته الآن.

دروس من سيرته

قصة موسى تذكرنا بقول الكتاب: "انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم" (عب ١٣: ٧). فليس المهم كيف تبدأ حياة الإنسان، إنما كيف تنتهي، وكيف يلاقي الرب عند موته.

قصته أيضًا دليل قوي على قبول الله لتوبة الخطاة مهما كانت سيرتهم رديئة جدًا. فبالتوبة يمحو الله خطاياهم ويقول: "لا أعود أذكرها" (إر ٣١: ٣٤) (خر ١٨: ٢٢). وترينا هذه السيرة أيضًا كيف أن نعمة الله قادرة أن تعمل في الكل، وأن تغير الخطاة ليس فقط إلى تائبين، بل بالأكثر تحولهم إلى قديسين، وإلى قديسين كبار. رأينا هذا الأمر – كما في موسى الأسود – كذلك في **أغسطينوس**؛ الذي تحول من فاجر بعيد عن الله، إلى قديس كبير وإلى أسقف عظيم له تأملات يستفيد منها العالم كله. ونفس الوضع نقوله عن القديسة **مريم القبطية**؛ التي تحولت من إنسانة خاطئة جدًا إلى راهبة وصلت إلى درجة السواح وتبارك منها القديس زوسيما القس الذي كتب سيرتها. ونفس الوضع نقوله عن القديسة بيلاجية.

أمثال هذه القصـــص تعطينا فكرة عن نعمة الله وكيف تعمل، بشــرط أن الإنســان يُســلم إرادته إلى عمل النعمة، فتكون إرادة متجاوبة مع عمل النعمة فيه.

النعمة مستعدة أن تغير، وهو نفسه يريد أن يتغير...

وقصـــة القديس موســـى الأســـود تعطينا فكرة عن أهمية أب الاعتراف في قيادته للتائب. فالقديس الأنبا موســى الأســود؛ في قيادتـه أولًا إلى الإيمـان، ثم إلى التوبـة، وإلى الرهبنـة، وتعهده باستمرار في حياته الرهبانية. كما ترينا هذه القصـة أيضًـا أهمية الجهاد الروحي. فقد جاهد موسى الأسود كثيرًا لكي يتخلص من خطاياه.

القوي الأنبا موسى

الكنيسة تلقب الأنبا موسى – في مجمع القديسين – بالقوي الأنبا موسى. هو طبعًا له صفات كثيرة: فهو إنسان تائب، وهو راهب، وقس ومرشد روحي، وهو أيضًا شهيد..

ولكننا نريد أن نتأمل في صفة (القوي) التي لقبته بها الكنيسة.

فنرى أنه كان قويًا في جســـده، وقويًا في توبته، وفي اعترافه، وقويًا في تواضـعه وفي احتماله. وقويًا أيضًـا في استشـهاده وفي معجزاته ونتكلم عن هذه الصفات بشيء من التفاصيل.

وكيف أنه: **قوي في جسده**

كقاطع طريق في بداية حياته. كانت له هذه الصـــفة أي قوته الجســدية. وكيف أنه في إحدى المرات اغتاظ من راعٍ وأراد قتله وكان ذلك الراعي على الشــط الآخر من النهر.. فأخذ موســى سـيفه وألقىّ بنفسـه في النهر ليلحق بالراعي ويقتله، لولا أن ذلك الراعي خاف من منظره، وهرب مختفيًا في الغابات.

وحدث في بداية رهبنته، أنه ذهب إلى قلايته، فوجد أربعة من اللصــوص قد اقتحموها لسـرقتها. فأمسـك باللصــوص الأربعة وربطهم بحبال، وحملهم على ظهره، وذهب بهم إلى الكنيســة وألقـاهم أمـام الآبـاء. وقـال لهم: هؤلاء هجموا على قلايتي ليسرقوها، فتصرفوا أنتم معهم بما تشاءون.

وهذا يرينا كيف أن النعمة قد تغير البعض بســرعة، بينما تغير البعض بالتدريج، مثلما حدث مع موسى الأسود.

قوة موسى الأسود في جسده تظهر أيضًا؛ في خدمته للرهبان، وكيف أنه كان يحمل جرار الماء الخاصـة بالشيوخ، ويذهب إلى بئر على بعد ميلين أو أكثر، ويملؤها بالماء ويعود بها ليحمل غيرها. ولا يســتطع أحد أن يقوم بهذه الخدمة مرارًا إلاّ إذا كان قويًا في جســده. يضــاف إلى مظاهر القوة في جســده، ما كان

يقوم به من نسكيات شديدة لا يتحملها إلا جسد يقوى عليها. أو قل إن المقصود بهذه النسكيات إخضاع الجسد القوي. إلى جوار قوته في جسده، نذكر قوته في توبته واعترافه.

قوي في توبته

دليل ذلك هو تحوله من قاتل وقاطع طريق إلى قديس وديع هادئ محب للغرباء ومتواضع. وتوبة موسى الأسود تدل على أمرين: الأول أنها توبة بإصرار شديد وبلا رجعة. والأمر الثاني أنها اِحتاجت إلى جهادٍ كبير.

وفي أول الأمر زادت عليه حروب الشياطين جدًا، حتى أنه في ليلة واحدة ذهب إحدى عشر مرة إلى القديس إيسيذورس أب اعترافه، الذي قال له: "اعتكف في قلايتك واصمد". فأجابه موسى الأسود: "لست أستطيع يا معلم"، ولكن نعمة الله كانت معه وساعدته في جهاده حتى انتصر على حروب الشياطين بنعمة الله التي كانت معه..

ومن مظاهر قوة توبته؛ قوة اعترافه

حتى أنه استطاع أن يعترف بكل خطاياه – على الرغم من بشاعتها – اعترافًا علنيًا أمام مجمع الرهبان كله. حقًا، من يستطيع أن يفعل ذلك!!

وأثناء اعترافه رأى أحد الآباء ملاكًا يحمل قرطاسًا، وكل ما كان يعترف به موسى الأسود كان يمحوه. مثل هذه الاعترافات تخزي الشياطين فيهربون، لأنها على الأقل تدل على تواضع قلب لا يحتمله الشيطان. وهكذا ننتقل في حديثنا عن قوة موسى الأسود إلى قوة تواضعه.

قوي في تواضعه

أولًا: كان يؤمن بأهمية التواضع في الحياة الروحية. وكان يقول: "إن تواضع القلب يتقدم جميع الفضائل". بلغَ من تواضعه وهو شيخ، أنه في إحدى المرات طلب كلمة منفعة من صبي صغير!! تواضعه في الحقيقة ظهر في قصة رسامته قسًا؛ فقد أخذه أب اعترافه الأنبا إيسذورس. وأراد البابا أن يختبره، فطرده قائلًا: "من أتى بهذا النوبي إلى هنا؟!".

فخرج وهو يقول في نفسه: "حسنًا فعلوا بك يا أسود اللون يا رمادي الجلد، وما دمت لست بإنسان، فلماذا تقف وسط الناس؟". ثم أمر البابا بإحضاره فأتى، فسألوه فيما بعد عن شعوره.. فقال: "حسبت أنني كلب طردوه فذهب، ونادوه فأتى". ولما تمت سيامته كاهنًا، ولبس ملابس الخدمة البيضاء، قالوا له: "ها أنت قد أصبحت أبيض كُلّك" فأجاب: "ليته يكون من

الداخل أيضًا".

ويظهر تواضعه أيضًا في بعده عن إدانة غيره

ومن أشهر قصصه في ذلك أن مجمع الرهبان انعقد لإدانة أخ راهب قد أخطأ. ودُعيّ موسى الأسود لحضور ذلك الاجتماع. فحضر وهو يحمل زنبيلًا (جوالًا) مملوءًا بالرمل، ولكن به ثقب من الخلف تنحدر منه الرمال. فسألوه عن ذلك، فقال: "هذه هي خطاياي وراء ظهري تجري، وقد حضرت لإدانة أخي".

كان القديس موسى الأسود عجيبًا في هذه الفضيلة. ومن كلماته المشهورة في ذلك "**إياك أن تسمع بسقطة أحد إخوتك، لئلا تكون قد دنته خفية**" .. أي أنه ليس فقط أن الإنسان يمتنع عن الإدانة بلسانه، إنما يحترس أيضًا من سماع كلمة الإدانة التي تصدر من غيره، لئلا يتأثر بها، فيكون فكر الإدانة قد سعى إلى قلبه في الخفاء، دون أن يشعر، أو بغير إرادته.

ومن تواضعه أنه كان باستمرار يتذكر خطاياه القديمة، على الرغم من ارتفاعه في الفضيلة. حتى أنه كان يقول: "إنني لا بد أن أموت قتيلًا، لأنني قد قتلت غيري". وقد قال السيد المسيح له المجد: "لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" (مت ٢٦: ٥٢). وفعلًا لما هجم البربر على الدير، وهرب كثير من

الرهبان، رفض هو أن يهرب مثلهم، ونال إكليل الشـهادة. وهكذا يكون قويًا في استشـهاده، إذ رفض أن يهرب من الموت. وقال: "هذا اليوم كنت انتظره من زمن طويل".

كان القديس موسى الأسود قويًا أيضًا في محبته...

قوي في محبته

كان يحب الناس بكافة الطرق، ويحب أن يخدمهم. وقد رأينا كيف كان يحب الشيوخ ويسير مسافات طويلة حاملًا لهم جرار الماء من البئر. وفي إحدى المرات مرّ عليه ضـــيوف. وكان الدير قد نذر صـومًا، أو قرر صـومًا، ولكنه احتفى بالضـيوف، وأوقد ليصـنع لهم طعامًا. ورأى بعض الرهبان دخانًا يصـعد من قلايته. فاسـتاءوا وقالوا: كيف يكسـر الصـوم؟! ولما رآه الآباء وعرفوا السبب طمأنوا الرهبان الصغار بأنه لم يفعل ذلك حبًا في الأكل، وإنما حبًا لضيوف قد جاءوه.

وفي مرة من المرات قصده ضيوف، فأخذ يعد لهم طعامًا، ولكن لم يكن عنده ماء يكفي للطبيخ. فأخذ يخرج من القلاية ثم يدخل. وهكذا ظل يخرج ويدخل مرات حتى أرسل الله سحابة ونزل مطر فملأ أوعيته. وقد سـألوه: "لماذا كنت تخرج وتدخل مرات؟ "فقال كنت أخرج وأعاتب الله قائلًا له: "إنك قد أرسـلت لي ضـيوفًا،

فلماذا لم ترســـل لي ماء لكي أعد لهم طعامًا؟". وهكذا يعطينا فكرة عن قوة معجزاته التي وردت في كتب ســـيرته وســـجلها البعض. ويمكنكم أن تقرأوها في كتب ســـيرتـه، حيث وردت معجزات في حياته، وحتى عصـرنا الحاضـر، سواء في مصـر، أو في الخارج وفي بلاد المهجر نقطة أخرى عن قوته في إرشاده الروحي.

قوي في إرشاده

لما سُـــيّم كاهنًا، كان لـه أولاد كثيرون في الاعتراف، ينتفعون بإرشـــاده الروحي وبالتلمذة عليه ســـواء على أقواله، أو بالانتفاع من سيرته وقدوته الصالحة.

ومن نصـــائحه وأقواله النافعة؛ "حب المســـاكين، لكي تخلص بســـببهم في وقت الشـــدة؛ أي بعطائك لهم يمنحك الرب نعمة تخلص بها في وقت الشـــدة". وقال في ذلك أيضًـــا: "اعط المحتاجين بالســرور والرضــا". وقال أيضًــا: **"الذي يتهاون في عفة جسده، يخجل في صلاته؛ أي أنه إذا وقف يصلي، يخجل في رفع وجهه إلى الله، إذ لا يجد دالة، بل تذكار تهاونه في عفته، يخجله"**. وقال: "إذا ســـكنت مع أخوة، فلا تأمرهم بعمل ما، بل اتعب معهم". وهذا يذكرنا بالأنبا بيشـوي الذي احضـروا

إليه تلميذ لكي يعلمه الفضيلة. فلم يقل له شيئًا. فلما اشتكى التلميذ إلى الشيوخ، وجاءوا إليه يعاتبونه إنه لم يقل لذلك الأخ شيئًا!!

قال لهم: "أنا لا أستطيع أن آمره بشيء. إنما عليه أن ينظر ماذا أفعل، ويتعلم دون أن أقول له شيئًا".

وقال الأنبا موسى **أيضًا عن الاتضاع:** "إذا عرفنا أننا كلنا خطاه، فلنحذر من أن نترك خطايانا، وننشغل بخطايا غيرنا وندينه، وقيل في ذلك كشخص يكون في بيته ميت. فيترك ميته ليذهب للبكاء على ميت آخر".

وقال الأنبا موسى أيضًا: "لا تثق بنفسك طالما كنت في الجسد أي احذر من الغرور، ولا تظن أنك قد وصلت إلى درجة لا تؤثر فيك الحروب". وقال: "الذي يعتقد في نفسه أنه بلا عيب، فقد حوى في نفسه جميع العيوب".

ونرى أن القديس موسى الأسود قد دخل في مرحلتين في جهاده الروحي؛ مرحلة منها كان يجاهد فيها بكل قوته. والمرحلة الثانية هي التي كان يلقي فيها ضعفه أمام الله، فتحمله النعمة. قائلًا للرب: "ليست لديَّ قوة أمام الشياطين، فأرسل لي قوة من عندك، وكان الله يرسل له نعمته".

بركة هذا القديس العظيم، فلتكن مع جميعنا.